الاغتراب وأبعاده الدلالية في ديوان الأرق للشاعر رزاق محمود الحكيم

هـــداية عيزل م مرزق
قسم اللغة العربية وآدابها- جامعة ــ سطيف .

ملخص:
تتناول هذه الدراسة الديوان الأول للشاعر رزاق محمود الحكيم "الأرق" في طبعته الأولى 1997 ،وتتكئ قصائد هذا الديوان على مجموعة من العناصر الشعرية التي توفرت فيها جماليات اللغة والصورة والإيقاع ،بالإضافة إلى جماليات العناوين التي تنوعت طولا وقصرا ،ومهما تمتعت هذه العناوين بالاستقلالية في بنيتها الدلالية فهي عبارة عن تجانس بين عناصر معظم القصائد ،وتتتبع الدراسة مظاهر الاغتراب في ديوان "الأرق" عبر الألفاظ والصور والألوان والتوظيفات المختلفة،التي تتلون بها اسطر القصائد فاللغة هي الوعاء الذي يصب فيه الشاعر شحناته العاطفية ،وهي مرآة نفس الشاعر تنعكس عليها أحاسيسه ،كما تصطبغ الألوان عنده بصبغة خاصة حيث اللون ينبثق عن رؤية الشاعر للأشياء ،وتتميز الرموز في كونها تحيل على حالة الاغتراب التي يعاني منها الشاعر ،حيث تلح الغربة على الشاعر في معظم قصائده وتتبدى في شكل أحاسيس تحملها للقارئ عبر الألفاظ والصور والإيقاعات التي أبدعها الشاعر ..

Résumé :
La première édition de la poésie de (RAZZAK MAHMOUD EL HAKIM) est apparue en 1997 ayant pour titre (**EL ARAK**) et la présente étude a pour objet primordial l'analyse de l'ensemble des éléments poétiques qui font apparaître le reflet de la personnalité du poète sous ses différents aspects à travers l'utilisation à bon escient de la langue et ses composants, et à travers les titres qui apparaissent , à première vue , indépendants mais constituent un ensemble très soudé reflétant les sentiments les plus profonds et combien authentiques du poète selon un symbolisme attractif qui inspire inquiétude et angoisse revenant à l'état d'émigré que vit le poète,et se concrétise à travers tous les vers de sa poésie

مقدمة :

الإبحار في عالم النص الشعري الحديث مغامرة لا متناهية الأبعاد تحاول الغوص بين ظلال الكلمات ،وترصد الصور والإيقاعات ،حيث" تصبح كل قراءة للنص الأساس النص المبتدع(بفتح الدال)تعني إنتاجا خاصا لنص جديد ذي معان خاصة ،ولكنها مستوحاة من ذلك النص الأساس"(1)وهذا في حد ذاته يحتاج إلى

خبرة ودراية من طرف القارئ الذي يبذل جهدا في سبر أغوار النص يعادل جهد المبدع في إنتاجه لنصه..فالنص الشعري لا يتكشف إلاّ لقارئ حاذق بعيد النظر،حيث أن "علاقة الترائي بين النص والناقد تنهض على مقومات ثقافية للنشاط الفكري عند الناقد من جهة ،وفي النص من جهة ثانية "(2)فتحاول الذات القارئة أن تعانق الذات المبدعة في ما يشبه التقارب والانسجام ،ونقول ما يشبه لأن النص لا يشي بكل ما بداخله للقارئ،بل يعطيه شيئا ويوهمه بأنه تحصل على كل شيء،وفجأة يجد القارئ نفسه في مهمة صعبة تسعى لمزيد من التبصر والبحث،قد يوفق فيها وقد يخفق لأن هذا " يستدعي كفاءة خاصة لا تتوافر غالبا لدى عدد كبير ممن يطمحون لمعايشة التجارب الشعرية في مختلف أشكالها وتجلياتها"(3) فالنص الحديث كتوم لايتكشف بسهولة ،بل هونص استفزازي يقود القارئ في متاهات القراءة المبدعة " وهوجهد تعبيري يحتشد بالدلالات الرمزية التي تتفاوت حيوية وفرادة من شاعر لآخر..." (4) ويبقى النص الشعري خاضعا للمنهج الذي يرتئيه القارئ والذي يرى فيه القدرة على استكناه خبايا النص والوقوف عند جوانبه الجمالية،والحق إن هذه المسألة قد تبدو من البساطة بمكان لدى القارئ المتمرس صاحب الخبرة والذي يمتلك أدوات القراءة .

ويدعو النص من خلال موضوعه ولغته وصوره وفنياته المختلفة القارئ إلى مغامرة القراءة المنتجة حيث يفتح أمامه مجال القراءة والتأويل.

إن فقراءة في ديوان الشاعر هي محاولة للاحتكاك به وبشعره في علاقة تعارف بين القارئ والشاعر،يقبل على شعره إقباله على أرض لم تطأها قدماه من قبل فيحاول التعرف على نوع تربتها ،وأصناف نباتاتها وكل ما يتصل بها من قريب أو بعيد .

. وديوان (الأرق)(5)للشاعر رزاق محمود الحكيم هو تلك الأرض العذراء التي سنحاول سبرها لتبوح لنا بأسرارها،فالقارئ لهذا الديوان للوهلة الأولى يشتم فيه رائحة الإبداع وأريج الأصالة،وهذا ليس بغريب على شاعر اجتمع له انتماؤه لحضارة بلاد الرافدين وإقامته على أرض البطولات فهو عراقي النشأة جزائري الجنسية (6).

إن أول ما يقابل القارئ في ديوان الأرق مقدمة تمثل المتاهة الأولى في حياة الشاعر ،متاهة الحنين الذي يؤرّق مضجعه وسيظل لحنا حزينا يعزف عليه الشاعر أغاني حياته الماضية والحاضرة عبر مختلف قصائده فهو مسهد مؤرّق يناجي نفسه المتعبة:

نام الجميع ولم تنم
يا قلب أرّقك السقم

نبضاتك اضطربت فهل خفقت
حنينا أم ندم؟
وتراكمت سنوات عمرك
كالخريف على الأكم
نام الجميع فهل تنام
وتستريح من الألم؟ (7)

حيث يبرز ضمير الأنا عند الشاعر في كثير من قصائده إلى درجة يصبح معها العصب المحرك ،والمحور الذي تدور حوله قصائد الديوان ،إلا أنّ حنينه إلى وطنه الأم ورحيله إليه في صحوه ومنامه،لم ينسه الأرض التي احتضنته عندما كان يجرجر جراحاته وينزف ألما لفراق الأهل والوطن ،فأهدى وطنه الجديد أولى قصائد ديوانه فكانت كلمات من القلب إلى القلب :

إلى أرض البطولات
إلى أمجاد نوفمبر
إلى الوطن الذي أهواه
غصنا يافعا أخضر
حملت إليك أوراقي مضمخة بأشواقي
كما حمل الربيع نسائم العنبر (8)

حيث يحمل النص الأول(التقديم) والنص الثاني (الإهداء) صورة عن تمزق نفس الشاعر وتعبيرا عن شعور مرير بالغربة والألم يحاول الشاعر دفنه في متاهات حاضره آملا أن يجد الراحة والعزاء عن الوطن العراق وهذا في قوله :

- فهاك دمي وهاك فمي
وهب لي بلسما يشفي جراحاتي

ويظل الليل الهاجس الأكبر واللفظ الذي يتكرر على مدار قصائد الديوان ليلا ثقيلا كئيبا يؤرّق الشاعر،يشبه ليل امرئ ألقيس الذي يخاطبه طالبا منه الرحيل بقوله:

ألا أيّها الليـــل الطويـــل ألا انجـــل بصبح وما الإصباح منك بأمثل
وان كان الليل عنده فسحة للتأمل والتفكر في احاييين كثيرة **(ياليلة تموج بالأفكار والظنون)**أو**(ياليلة ذكرت فيها موطني)**وقوله**(الليل والصقيع والدخان/ وصرخة القدر)**إلى**(وليلتي تفيض بالأسرار والأشياء/فتولد الأحلام في ذاكرتي/ ويولد الرجاء)** وغيرها مما يجعلنا نسجل حضور الليل كتعبير عن حياة الأرق التي أعلن عنها عنوان الديوان ،فالعنوان هو"المحور الذي يتوالد ويتنامى ويعيد إنتاج نفسه "(9) عبر اسطر القصيدة في تشكلات لفظية تحمل في داخلها

دلالات تحيل عليه،وإذا كان عنوان القصيدة علامة على اكتمالها دلاليا ..فإن عنوان الديوان علامة على تلك البنية الكبرى التي تنتظم فيها البنيات الدلالية لكافة القصائد،" ومن ثم كان لابد أن يخترق عنوان الديوان كافة القصائد ليتمكن من رد اختلاف عناوينها إليه"(10)،وعليه فإنّ العنوان **(الأرق)** نجده يتردد بشكل أو بآخر عبر قصائد الديوان وإن كانت لفظة الأرق لم ترد داخل القصائد بلفظها إلا نادرا كقوله:**(كأنما نجومها مرافئ الأرق / يا قلب أرقك السقم)** إلاّ أن ما يحيل عليها كثير نجده في قول الشاعر:**(في ليلة كئيبة طويلة الغسق)(ليل بلا نهار)(نام الجميع فهل تنام/وتستريح من الألم)**وغيرها من العبارات التي تحمل داخلها معاني الأرق والألم والتفرد .

وينطلق الشاعر رزاق محمود الحكيم مسافرا إلى مدينته عبر رسالة يحمّلها شوقه وتداعيات نفسه المتعبة حيث يطغى ضمير الأنا على خطابه الشعري فيقول:

أكتب من بعيد
من بلد الهضاب والجليد
في ليلة كئيبة طويلة الغسق
كأنما نجومها مرافئ الأرق
كأنما ظلامها الطوفان والهدير والغرق
يا ليلة تموج بالأفكار والظنون
لا توقظي في مقلتّي صحوة الشجون
مسافر إليك يا مدينة الأحزان
وفي يدي غربتي
وصورة باهتة الألوان(11)

وقد لا يكون غريبا على شاعر عربي كشاعرنا أن يعانق في غربته غربة علي محمود طه الذي يقول :

أيّها الشاعر الكئيب مضى الليـــ ـل وما زلت غارقا في شجونك
مسلما رأسك الحزين إلى الفكـــ ـر والسّهد ذابلات جفـــونـــــك (12)

وأن يشركه شعوره بكآبة الليل ،وأنين النفس ،وحنين الذات إلى الوطن الأهل والجذور فيقول : ياليلة ذكرت فيها موطني

فعانقت روحي صبابتي
وأبحرت كالموج في عمق المسافات
أنفاسي الحرّى تجتر آهاتي
والزمن الساقط في ذاتي
يمضغ أيامي وساعاتي (13)

فقد عانى الشاعر العربي مرارة الغربة على مرّ العصور ،حيث نجد معاني الغربة عند امرئ ألقيس وعنترة وأبي العلاء المعري وشعراء المهجر وبدر شاكر السياب وغيرهم من الشعراء الذين عانوا من قهر الزمان،وتغير الأحوال وخيبة الأمل وإنكار الأصحاب،والبعد عن الأحباب مما دفعهم إلى الانطواء على النفس ومآثرة العزلة " فالإنسان العربي في هذا الوطن الكبير يولد وهو يحمل بذور اغترابه ،لأنه حين يولد تكون الظروف القاهرة قد سبقته إلى الوجود،ولأن وطنه يتميز عن غيره من الأوطان بظروف خاصة وميزات معيّنة"(14) والدارس للأدب العربي بصفة عامة،والشعر العربي بصفة خاصة،يجد ملامح الغربة قد انطبعت على لغة قصائد شعرائنا وتلونت بها صورهم ..فالاغتراب عند الشاعر يكون نتيجة ظروف قاهرة،وأسباب منها الموضوعية ومنها الذاتية أوكلاهما معا(15)ولعل الغربة الحقيقية في الابتعاد عن الأهل والوطن تعد من أكثر العوامل المسببة للشعور بالوحدة والإكتآب والاغتراب،حيث تتجلى الآهات والزفرات ويصرخ الحنين الدائم في قصائد هؤلاء الشعراء،وقد رأينا هذا في شعر المهجريين الذين عبروا عن عدم تأقلمهم مع البيئة الجديدة في الإكثار من حديثهم عن النفس وتأملاتها ،كما عبروا عن الحيرة والضياع في الكثير من قصائدهم يقول إيليا أبو ماضي :

نحن في الأرض تائهون كأنا قوم موسى في الليلة الظلماء

فالاغتراب ليس مجرد حالة مرتبطة بمجتمع معين أو تنظيم اجتماعي اقتصادي بالذات،وإنما هي ظاهـرة يمكن أن نرصـدها وندرسـها في كل أنماط الحيـاة الاجتماعية،تظهر نتيجة ظروف معينة (16) .

وقد لا يكون من قبيل الصدفة أن شاعرنا رزاق محمود الحكيم ينتمي إلى بلد السياب ونازك الملائكة والبياتي وغيرهم من الشعراء الذين أنجبتهم حضارة بلاد الرافدين،وقد توفرت لديه حساسيتهم ورهافة شعورهم وجمال أساليبهم ،فشارك السياب غربته ورهافة حسه وصبره حيث عاش ومات وكله أمل في العودة إلى الأهل ومعانقة وطنه العراق ،وكأن رزاق محمود الحكيم يستأنس بهؤلاء الشعراء الذين عاشوا غربة كغربته ،ونزيفا نفسيا كنزيف نفسه فراح يعزي نفسه في قصيدته **(الكتابة على الجدران)** بقوله:

لست وحدي
أكتب الحرف على الجدران
في صمت وأمضي
في ثنايا الدرب أصغي
لصفير الريح ممزوجا بنبضي

لا،فمن حولي مئات الكاتبين
وفي مقطع آخر من القصيدة يقول:
لست وحدي
أكتب الذكرى على الأبواب
من بيت لبيت وأغني
نبضي قيثارة الحب وأشواقي وفني
لا، فمن حولي جموع الشعراء (17)

واحد من هؤلاء الشعراء والكتاب الذين عبّروا بأساليب مختلفة عن شوقهم وحنينهم،عن انتمائهم وذكرياتهم التي تلهب روحهم بسياطها الموجعة،في علاقة متعدية بين الشاعر والشاعر على مر الأزمان وبعد المسافات،قوامها المشاركة الوجدانية والتوحد في التجربة،والشعور بالخيبة في عالم نفسي لا يشبهه عالم آخر.

فالقارئ لديوان "**الأرق**" يحس بمشاعر الغربة والحنين إلى الوطن تتلون بها اسطر القصائد الممتدة عبر صفحات الديوان ..حيث بدا الانفعال الروحي للشاعر يرسم لوحة فنية رائعة تمتزج فيها روح الشاعر وأحاسيسه بالطبيعة فتتصهر فيها معبرة عن معاناته من حياة الغربة فيرحل إلى مدينته عبر الكلمات يرافقه الليل على قسوته،فيجرجر أحزانه،ويحلم بالرجوع إلى الوطن الأم مسقطا شعوره بالغربة على كل شيء: (الليل والقمر والطرقات والظلال)،وان كانت القصائد لا تستوي كلها في هذا المستوى من النسيج ،إلا أنها تجتمع في مجملها حول عذابات الشاعر

شاعر أتعبه الصبر
وأضناه الحنين
فمضى يغتال صمته
بسيوف الكلمات وصهيل الذكريات
وعذابات السنين
شاعر يحمل في كفيّه عمره
ويجوب الطرقات ومحطات السفر
باحثا عن وطن يورق
فيه الحب ألوان الفرح (18)

إن الركيزة الأساسية التي بني عليها هذا الديوان هي الغربة التي جاءت في كلمات وعبارات مختلفة سواء أوردها الشاعر بلفظها(غربتي_ وحدتي_وحشتي وحيدا _غريبا _ضائعا...)أو ما يدل عليها من العبارات:(وحيدا أعانق وجه الحياة)(وأبحرت لا زورقا ولا شراع)(وحيدا أحث الخطى في الدروب) (ها أنت ذا تمشي وحيدا /في الأزقة لا أنيس ولا رفيق) (كطفل ضائع ضل الطريق) (وحيدا تلاحقني غربتي كظلي)،في تشكل جمالي يتوزع على اسطر النصوص الحاملة

لمعاني الغربة،حيث تهيمن الألفاظ المشحونة بأشجان الشاعر وحرقته وضياعه،حتى وهو يحاول الخروج عن ذاتيته في(**تنهدات على جدار الأقصى**)و(**سلاما يا سراييفو**)أو(**لن يموت الربيع في صربرنيجا**)وغيرها من القصائد التي تحمل هموم الغير،ذات شاعرة تحمل آلام الإنسانية وتبحر عبر عوالم النفس المعذبة في الجزائر والعراق وبيروت وسراييفووالقدس ،عذابات يستدعي بعضها البعض تعبر عن انشغال الشاعر بمعاناة الآخر،في تواصل يتجلى في البحث عن مسببات هذا الهمّ وعمق المأساة النابعة منه،دون الابتعاد عن ماساته التي تتوحد مع عذابات الغير،فنراه يحمل آلامه وغربته معه في عزف حزين ينم عن روح معذبة أتعبها الأنين في قوله:

أنا هنا في وحدتي غريب
يا إخوتي غريب
ليل بلا نهار (الوحشة والأرق الذي يصيب المهموم)
بيت بلا جدار (دلالة على غربته)
قلب بلا أسرار (19)

أو قوله :

فلا تقولي لعنة الزمن
ولا تقولي قد خذلناك
فنحن الغرباء
ليس لنا وطن (20)

فمشاعر الغربة تظل مرافقة للشاعر في لغته وصوره وتعابيره من (**رسالة إلى مدينتي**) إلى(**عودة الغائب**)(**فالقطارات تأتي من جهة الشرق**)و(**كلمات في سجل الذاكرة**)...وغيرها من العناوين المفعمة بحب الوطن والتوق إلى رؤيته ،فالغربة الموحشة تلف سطور الديوان في لغة شاعرية عذبة تأخذنا معها إلى الماضي البعيد،ماضي الشاعر وذكريات تألمه ووحدته بعيدا عنه،فيكتب (**متهم مع سبق الإصرار**)يغازل فيها الوطن ويحن شوقا وحرقة لمعانقتـــه بكلمات عذبة ولحن شجي فيقول :

إني طرزتك يا وطني وشما أخضر
ورضعت هواك فهل تدري
أني أتوشح بالعنبر
من يغرس في ذاكرتي النسيان
ومن يخفي وجهي كي أتنكر (21)

وتظل أوتار نفسه الحزينة تعزف أنغام العزلة واللاإنتماء ،فيجرّ الشاعر أقدامه متثاقلا وحيدا يبحث عن ذاته عن كيانه،أوعن مؤنس يخفف من وحدته لكن عبثا يقول في **(عودة الغائب)**: 1ــ ها أنت تمشي وحيدا

في الأزقة لا أنيس ولا رفيق
وسط الزحام ولم تزل تمشي
كطفل ضائع ضل الطريق

أما **(كلمات في سجل الذاكرة)**فيقول فيها :

2 ــ وحيدا تلاحقني غربتي كظلي (والظل لا ينفصل عن الشخص)
فتثقل أقدامي
فأمشي أجرّ عناء الرحيل
وأسحب خلفي أيامي (22)

وتحمل الألوان عند الشاعر معنى خاصا يوحي بحالته النفسية التي تضيع في غياهب الغربة والأنين ،فهي ألوان ذات طابع انفعالي وتخيلي،تحمله الألفاظ التي تعايش اللون،معبرة عن الشحنة الشعورية والوجدانية،المعبأة بشذى الحنين للوطن الذي فارقه منذ سنين،فبدت صورته في ذاكرة الشاعر باهتة اللون نتيجة طول الغياب عنه فيناجيه بقوله :

مسافر إليك يا مدينة الأحزان
وفي يديّ غربتي
وصورة باهتة الألوان (23)

وتتلاحق الصور عديمة اللون في ذكريات الشاعر ،صور يلونها الشحوب ووحشة الأيام والذكريات البعيدة ،وفي العينين ألوان الحنين ،لون وتوهج لا يشبهه لونٌ آخر "فالفنان حين يقع اختياره على المواد لا يختارها بسهولة ويسر،بل يبذل جهدا كبيرا في عملية الاختيار التي تكون محكومة لديه بالموضوع والرؤية التي يريد تقديمها للمتلقي"(24) فكان اختيار الألوان في ديوان الأرق يشكل معادلا موضوعيا لغربة الشاعر وأحاسيسه وحلمه اليائس في العودة،فراح يعزف لحن الغريب :

رحل النهار ولم تزل تمشي
وتحلم بالربيع وبالرحيق
وفي يديك صدى السنين
ووحشة الأيام والذكرى
وفي عينيك ألوان الحنين
كأنها لون المساء (25)

إلى أن يقول:

رحل الربيع عن المكان
عبثا ستبحث فوق أرصفة الزمان
أو تسأل الماشين عن بيت
وعن أهل،وعن عنوان (26)

فيضع الشاعر القارئ أمام ألوان تتعارض أحيانا مع المألوف ،فألوان الربيع تخضر وتزهو بألوان الأزهار الجميلة ،لكن الربيع يرحل،وترحل معه الآمال والأحلام،ويتلون المساء بأحزان الشاعر ،وقد يكون مساؤه بلون الشمس عند الغروب ،أو يكون لونا قاتما موغلا في الحزن وهو الأقرب إلى الصورة التي رسمناها لأحاسيس الشاعر عبر صفحات الديوان ،لأنه لون الحزن الذي يتّشح السواد،ترصده الألفاظ المحمّلة بشحنات انفعالية،تأخذنا إلى عوالم نفسية لا متناهية،يستسلم لها الشاعر في حيرة وتساؤل :

والآن عدت تلملم الأشواق كالأشواك
تدمي مقلتيك فما الذي تبغيه ؟

حيرة وشعور بالانفصال عن الذات ،وعن الآخرين فمرارة المعاناة تضعنا أمام صور شتى من إنكار الآخر وتنكره،مما يشكل في القلب حسرة وفي النفس اكتأب تعبر عنها صور الشاعر المثقلة بالآلام والشعور بالوحدة القاتلة،يحاول أن يسمع صوته ولكن صمّت الآذان فمن يسمع شكواه :

لازلت كالظمآن أمتص
جذور الحنظل البري والصبّار
في رمل الصحاري الشاسعة
عبثا أشكو فما من أحد يسمعني
غير الصدى يرجع شكواي فيا للفاجعة (27)

فكل شيء تخلى عن الشاعر،الليل غريب،والذكريات حيرى والجراح ثخينة،وهو وحيد يحلم بوطن وأمل وسنبلة وغصن زيتون ،ينشد الوطن البعيد هواه ولوعته :

يا موطنا أحمله في مقلتي
خريطة ونار
إني عزمت أن أكون
في وجودك انتصار
وفي أديم أرضك اخضرار
أقسمت أن أعيش أو أموت في رباك
للحب للسلام في هواك (28)

ونظل نتنقل مع الشاعر عبر مستويات رؤيويّة متعددة تشرح غربته،وتحمل ذاتيته في لغة مفعمة بالحركة،وصور معبأة بمعاني الحب لوطن يسكن أعماق فؤاده،يناجيه الشاعر من بعيد عبر الذكريات وعذابات السنين ،ولكن مهما ابتعدت المسافة ،وطالت الغربة ،وتقرحت الشفاه من الأنين ،فهو يحمل لوطنه رسالة حب من (قلب مضرّج بالإبـــاء)و(دم ينـــزّ من الجفون) صارخا متحديا الأقدار التي أبعدته عن وطنه ،فيعانقه عن بعد مقدم أغلى ما يملك :

هذي حياتي فاحتسبها يا عراق كما تشاء
خذها فقد عظم الفداء (29)

إن تجربة المنفى والاغتراب ألقسري عن الوطن تمنح الأديب رؤية فلسفية عميقة للحياة والزمن،فالمعاناة دائما تدفع الإنسان إلى التفكير والتأمل والغوص في عمق الأشياء من حوله والبحث عن المتعة في الألم (30) ،والقارئ لديوان (**الأرق**)يلاحظ أن الشاعر يتكئ على مجموعة من العناصر الشعرية تتوفر فيها جماليات اللغة والصورة والإيقاع،بالإضافة إلى توظيف مجموعة من الرموز "وقد يكون توظيف الشاعر للرمز نوع من أنواع الاغتراب الذاتي،والهروب من مآسي الحياة إلى عالم الأسطورة،لأن الهروب والحلم هما طريقا الخلاص من الاغتراب.."(31) وقد تعددت الرموز عند الشاعر رزاق محمود الحكيم واختلفت حيث نجده يستدعي مجموعة من الأسماء مثل: يوسف ويعقوب وعيسى والسند باد والحلاج والحجاج وقابيل وشهرزاد ونبتون وعوليس وغيرها من الرموز المتضمنة في هذا الديوان نورد أمثلة عنها توظيفه لشخصية يوسف في قوله :

ويوسف الفتى يئن في غيابة الجب
يصارع الردى كأنه الغريق (32)

حيث يحلّ الشاعر في شخصية يوسف معبرا من خلال آلامه وأحاسيسه وشعوره بالضياع في غيابات الجبّ عن خيبة الشاعر وانكساره النفسي، وهو يستدعي شخصية يعقوب الوجه الآخر للعذاب والانتظار والأمل في لقاء الأحبة :

يعقوب وجه للأسى
وصورة لونّها الشحوب

وشخصية عيسى تمثل رحلة العذاب ،لكنها من أساطير البعث والتجدد وبالتالي عودة الأمل فقصيدة (**ميلاد**)التي يستهلها الشاعر بلمحة تفاؤلية توحي ببعض ما يخالج الشاعر من أماني في غد أفضل وهذا من خلال قوله:

ما أجمل أن تولد
في ليلة عيد الميلاد الكلمات (33)

إلى أن يقول :

يا أمّة تفتقت جروحها كأنه الحصاد
يا زهرة برية تصارع الردى
وتشرب الرماد
عيسى عاد
عيسى عاد (34)

ومن الأسماء الأسطورية التي تم استدعاؤها(نبتون) في قصيدته **(المدينة الخائفة)** حيث يقول:

هي ذا حورية البحر امتطت
صهوة (نبتون)وأرخت شعرها
كل من يلمحها يعشقها (35)

وغيرها من الرموز التي وجد فيها الشاعر فضاء يتسع لرؤياه المعذبة"حيث تلعب الرموز الأسطورية أو الحدث الأسطوري دورا في خلق مناخ النص وإشعال أجوائه الوجدانية والفكرية"(36).

ولا أزعم بهذه الدراسة أنها أحاطت بكل العناصر الجمالية التي لخصت العالم الذي يحيط بغربة الشاعر رزاق محمود الحكيم ،لأن عالمه أوسع من هذا بكثير بل انك إذا ولجت عالمه الشعري لن تستطيع منه خلاصا،فهو عالم زاخر بالرؤى والدلالات ،كما لا ازعم أنني توصلت إلى دراسة شاملة للديوان ولكنها لحظات تعارف وتجاذب كثيرا ما تحصل بين القارئ والنص الجديد ،عبّرت من خلالها عما أثارني وحفزني للتوقف عند محطاته الممتدة لعلّي أشارك الشاعر تساؤلاته واخفف من حدة إحساسه بالوحدة،ومن ثمّ فان قصائد الديوان ما هي إلا صدى لحالات شعورية ونفسية وذهنية تغدو معها الكلمة المعبرة معادلا لأحاسيس الشّاعر ورؤيته لهذا الواقع المعقد،رؤيـــة يقدمها الشاعر لأجواء ممتدة في عوالم نفسية مغرقة في الغربة والاغتراب ،لا تضم أفقا واحدا بل آفاق متعددة وهو ما يدل على حدة التوتر وكثرة الألم الذي طغى على صور الشاعر ولغته وتعبيراته التي كانت زفرات مشحونة بأحزان نفسه الدفينة ،فالشعر مرآة تعكس أحاسيس الشاعر وعذابات نفسه مهما حاول أن يخفي انكسارات روحه المتلهفة على لحظة من ماضيه الذي تربطه به ذكريات الطفولة/ الأم والوطن .

مراجـــع

1. جماليات المعنى الشعري (التشكيل والتأويل)/عبد القادر الرّباعي /المؤسسة العربية للدراسات والنشر /الطبعة الأولى 1999 /ص 10
2. في معرفة النص /يمنى العيد /دار الآداب _بيروت /الطبعة 4 ــ 1999 / ص 147
3. شفرات النص (دراسة سيميولوجية في شعرية القص والقصيد)/د صلاح فضل/دار الآداب_بيروت الطبعة الأولى 1995/ ص176
4. في حداثة النص الشعري(دراسة نقدية)/د.علي جعفر العلاق/دار الشروق للنشر والتوزيع –عمان الأردن/الطبعة الأولى 2003 /ص 45
5. (الأرق)ديوان شعري يقع في تسعين صفحة من الحجم الصغير،ويحتوي على 23 قصيدة من الشعر الحر،وهو أول مجموعة شعرية للشاعر صدر في الجزائر عن دار الكتاب /الطبعة الأولى 1997
6. رزاق محمود الحكيم نشأ في العراق وأكمل فيها مراحل دراسته،حصل على إجازة الليسانس في علوم اللغة والأدب من الجامعة المستنصرية ببغداد عام1970 ،قدم إلى الجزائر في العام نفسه(1970)وعمل أستاذا للغة العربية في الثانوي ،ثم معاهد تكوين الأساتذة ،ثم أستاذا محاضرا في قسم اللغة العربية وآدابها ،جامعة فرحات عباس –سطيف ،حاصل على شهادة الماجستير من جامعة منتوري- قسنطينة ،والدكتوراه من جامعة الأمير عبد القادر ــ قسنطينة ،وهو متحصل على الجنسية الجزائرية عام1985 ،له عدة
   - مقالات منشورة في الصحافة والمجلات الجزائرية،كما للشاعر أعمال مطبوعة وأخرى لا تزال مخطوطة منها :
     ديوان الأرق ــ مطبوع
     ديوان أغاريد (شعر للأطفال) ــ مطبوع
     ديوان غريب في المدينة ــ تحت الطبع
     ديوان العودة،وديوان الرحيل ــ مخطوطين

   وقد صدر عنه ترجمة مع نماذج من شعره في معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين –المجلد الثاني ،وفي معجم أدباء الجزائر ــ لعادل نويهض،وفي ديوان محمد الدرة _الجزء الأول ....الخ.
7. الديوان (تقديم)
8. الديوان (الإهداء)ص 5

9 . دينامية النص(تنظيروإنجاز)/د.محمد مفتاح/المركز الثقافي العربي بيروت/ط.2 1990/ص72
10. الديوان ص6 11.الديوان ص ن
12. الأدب العربي المعاصر /د شوقي ضيف /دار المعارف بمصر،القاهرة/1961 ص 165 13 . الديوان ص 7
14. الاغتراب في شعر بدر شاكر السياب/احمد عودة الله الشقيرات/دار عمار للنشر والتوزيع عمان . الأردن/الطبعة الأولى 1987 / ص52
15.المرجع نفسه ص 53
16. المرجع نفسه ص 13
17. الديوان ص 8،ص9
18. الديوان ص 77
19. الديوان ص 30،ص 34
20. الديوان ص 51
21. الديوان ص 12
22. الديوان ص 19
23. الديوان ص 6
24. عناصر العمل الفني(دراسة جمالية)/د.رمضان الصباغ/دار الوفاء لدنيا للطباعة والنشر الإسكندرية،1999/ ص18
25. ديوان الأرق ص13
26. الديوان ص 15
27. الديوان ص 46
28. الديوان ص 42
29. الديوان ص 86
30. الزمن في الرواية العربية /د.مها حسن القصراوي/ المؤسسة العربية للدراسات والنشر/ ط1 2004 /ص160 (بتصرف)
31. الاغتراب في شعر بدر شاكر السياب /ص 132
32. الديوان ص 33 33. الديوان ص 34
34. الديوان ص 38 35. الديوان ص 45
36. الشعر والتلقي ــ دراسة نقدية/د.علي جعفر العلاق /دار الشروق للنشر والتوزيع عمان . الأردن /ط1 ــ 2002 ص19